المبحث الثاني عشر

أسباب تلوث القلوب وإحباط العمل

أسباب تلوث القلوب وإحباط العمل

الحمد الله رب العالمين، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، يا من هو الرحمن على العرش استوى، يا عزُّ كل ذليل، يا غنى كل فقير، يا مغيث كل ملهوف، يا سامع الدعاء، يا كاشف البلاء، يا رافع السماء، يا من هو أقرب إلينا من أنفسنا، يا من هو أقرب إلينا من حبل الوريد، يا من يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، يا من أحاط بكل شيء علمًا، القلوب إليك مفضية، والسر عندك علانية، لا يرتفع شيء إلا بإذنك، ولا يتقدم شيء ولا يتأخر شيء إلا بمشيئتك، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٦ - ١١٢].

سبحانك أنت الرحمن، وأنت المستعان، وأنت المحمود على كل لسان، اللهم لك الحمد كالذي نقول، ولك الحمد خيرًا مما نقول، نحمدك كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فأنت رب الملك والملكوت، وأنت الحي الذي لا يموت، سبحانك يا من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣].

والصلاة والسلام على سيد الخلق، وحبيب الحق سيدنا محمد، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وصاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، وأول شافع، وأول مشفع، وأصدق قائل بعد الله ﷻ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وعلى آله وصحبه الكرام، اللهم اجعل يومنا خيرًا، اللهم اجعل نهارنا خيرًا من لياليا، واجعل لياليا خيرًا من نهارنا، واجعل نهارنا ذكرًا، وليلنا قيامًا وشكرًا، أدعو الله تعالى أن يفتح لنا ولكم الفتح المبين

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وأن يعلمنا ويعلم بنا، أن يسعدنا ويسعد بنا، ويجعلنا وإياكم مفاتيح الخير ومغاليق الشر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

يأتي السؤال هنا: هل سن الخامسة والثمانين يسقط عن بالغه التكليفات؟ أي ليس عليه صلاة، ولا صيام ولا شيء، ويعتقد أن الله تعالى أسقط عنهم التكليفات الشرعية الحقيقة، هذا كلام خاطئ؛ لأن المسلم عندما يخرج نفسه من دائرة الإيمان ويلقى الله تعالى بوجهٍ مكسوفٍ مخسوفٍ، وينقطع عن العبادة، ويتفرغ لأوقات اللهو التي يقضيها باعتبار أنه ليس مكلفًا بشيء؛ فإنه يلقى الله تعالى بوجه أسود، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

أي: ويوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد وجوههم مسودة، أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده وطاعته؟ بلى.

الإنسان إذا مر عليه يوم ولم يُصَلِّ فقد أصابه صدأ وغبار شديدان، الإنسان إذا مر عليه وقت، ولم يستجب لنداء الرحمن ولم يُصَلِّ؛ فإن قلبه صار خارج إطار الخدمة وخدمتك في طاعة ربك، وخدمتك في أن تفعل ما فعله النبي العظيم ﷺ الذي قال عنه الملك ﷻ، في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

أي: لقد كان لكم أيها المؤمنون في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها، ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

من الذين يحبون رسول الله ﷺ؟ ومَن الذين يحبون الله تعالى؟ وكيف يتبعون ما أمر به الله ﷻ، وكيف يتبعون رسوله الكريم؟

انظر ماذا قال الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

أي: لقد كان لكم أيها المؤمنون في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله، وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها؛ فألزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

لابد وأن يبقى على طاعة، ولابد وأن ينغمس في الطاعة، وعندما تستشعر أنك لست مستريحًا لصلاتك، فخير لك أن تعيدها، وعندما تستشعر أنك سرحت في الصلاة كثيرًا، فخيرًا لك أن تعيدها عندما تستشعر أن قلبك كان في مكان، وأن لسانك كان في مكان آخر، فخيرًا لك أن تعيدها وكنت قد صليتها، ولكنك أذهبت بهجتها، وأذهبت ضياءها كهذا الرجل الذي أتى وصلى ورسول الله ﷺ جالس، فقال له النبي صَلى الله عليه وعلى آله وصحبه، لقد استعجلت في صلاتك صَلِّ مرة أخرى، فصلى الرجل صلاةً مسروقةً، وهي التي ذهب خشوعها وتسمى بالصلاة المسروقة، أي الصلاة التي سرق منها الخشوع، والركوع، والسجود أي الإنسان يؤديها خطفًا سريعًا، ولماذا جعلتهم يا رسول الله خارج ملة الإسلام ؟

لأنه عندما يؤدي الصلاة باستعجال وباستخفاف، فإنه لا يوقر الملك الذي سترفع إليه الصلاة، كالذي يقدم هدية لشخص، ولله المثل الأعلى ليس كمثله شيء، فأتى له بهدية غير طيبة، فقال له آخر: يصح أن تقدم له هذه الهدية غيِّرها يا أخي، وظل يُغَيِّر في الهدية، ويحسِّنها ويجوِّد فيها، حتى قال صارت طيبة، وجميلة، ولكنك عبثت بالصلاة، ولم تحضر فيها قلبك ولم تَرْوِ فيها ظمأك.

إننا نتحدث الآن عن المصلين الذين يصلون بالفعل، ورغم هذا فإن صلاتهم تحبط رغم أنهم صلوا، وربما يكون صلى جماعة أيضًا، كالذي لم يُصَلِّ في الأصل أو كهذا الرجل الذي امتنع عن الصلاة خمس سنوات، ولقي الله تعالى، ولم يختم له بالصلاة عندما تحدثنا عن أحوال المصلين

الذين يؤدون الصلاة بلا خشوع، وبلا قلب، وبلا روح فتلك صلاة ميتة لا تغير في قلب الإنسان، ولا تؤثر فيه، ولا تنور قلبه، ولا تؤثر في أخلاقه أي صلى وكأنه لم يصلِّ .

بعض الزوجات تُسيء معاملة الزوج؛ لأنه لا يصلي، وآخرون يطلبن الطلاق منه لأنه لا يصلي، إن الله ﷻ يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١﴾ [الأعلى: ٩ - ١١].

فعظ قومك أيها الرسول حسبما يسرناه لك بما يوحى إليك، واهدهم إلى ما فيه خيرهم، وخُصَّ بالتذكير من يرجى منه التذكُّر، ولا تتعب نفسك في تذكير من لا يورثه التذكر إلا عتوًّا ونفورًا، سيتعظ الذي يخاف ربه، ويبتعد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه.

كما في قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢]. أي: ليس عليك إكراههم على الإيمان، وإن الله تعالى عندما أرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون كما في قوله تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]. أي: فقولا له قولاً لطيفًا؛ لعله يتذكر أو يخاف ربه.

ربما بعض الأزواج يُعاند، ويقول: لا أسمع كلام كذا، وكلام كذا أنا حر في قراري، وأنا حر في كذا... مؤكد أنه مُخطئ، وتأخذه نزعة الجاهلية، إنما المسلم يستجيب للحق، ينصاع للحق، لأن الملك ينادي عليك: أنت لا تصلي كيف تعيش دون صلاة؟ كيف تنام؟ كيف تهضم طعامك؟ كيف تعمل! كيف! كيف؟!!

إن الملك ينادي عليك كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

أي: ألم يحن الوقت للذين صدَّقوا الله ورسوله ﷺ واتَّبعوا هديه، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله، وسماع القرآن، ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى الذين طال عليهم الزمان فبدَّلوا كلام الله؛ فقست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله؟ وفي الآية نجد أن الحث على الرقة والخشوع لله ﷻ عند سماع ما أنزله من الكتاب والحكمة، والحذر من التشبه باليهود والنصارى، في قسوة قلوبهم، وخروجهم عن طاعة الله.

متى تأتي توبتك؟ ربما النصيحة الشديدة تأتي بالعكس، والنصيحة اللينة الرقيقة تقول له: جرب الصلاة، صَلِّ بنا العشاء، فإنهم كأسرة يدعونه إلى الصلاة، افتح معنا المصحف هذا يوم جمعة نقرأ جميعًا سورة الكهف، أو يقرأ كل واحد منا رُبْعًا منها، ولكن الدعوة إلى الصلاة عندما يدعو أحد إلى الصلاة: الزوج يدعو الزوجة، أو الزوجة تدعو الزوج للصلاة بصورة فيها مجادلة، ومشاكسة، ونِدِّية شديدة، وبعض الناس يقول: أنت لست فيك الخير، وأنت شيطان جالس معنا في البيت، وإذا دخلت البيت تذهب البركة من البيت هذا كلام صعب، وبعض الأزواج يمتنعن عن أزواجهن من باب العقاب، لأنه لا يصلي، فتعاقبه من هذه الناحية كنوع من التأديب، ونوع من العقاب لكونه لا يصلي، وهو أيضًا يزداد في غضبه وحمقه عليها، وربما يسلك طريق المعصية، ويقول: هي السبب، هي التي جعلتني أفعل هذا، إن الله ﷻ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٨].

أي: يا أيها الذين آمَنوا بالله ورسوله محمد ﷺ كونوا قوَّامين بالحق؛ ابتغاء وجه الله، شُهداء بالعدل، ولا يحملنكم بُغْضُ قوم على ألا تعدلوا،

اعدِلوا بين الأعداء والأحباب على درجة سواء، فذلك العدل أقرب لخشية الله، واحذروا أن تجوروا، إن الله خبير بما تعملون، وسيجازيكم به.

إن تلوث القلوب الذي تحدثنا عنه من قبل، ومن أين يأتي لهذا القلب حالة التلوث؟ إن الله تعالى قال لحبيبه ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

أي: ولقد أوحي إليك أيها الرسول، وإلى من قبلك من الرسل: لئن أشركت بالله غيره ليبطلنَّ عملك، ولتكونَنَّ من الهالكين الخاسرين لدينك وآخرتك؛ لأنه لا يُقبل مع الشرك عمل صالح .

والكلام لسيدنا النبي ﷺ، وهل يتصور أن رسولًا يشرك بالله ﷻ؟ الذي جعله رسولًا، الذي أنزل عليه الكتاب، وهو يتولى الصالحين، إن الله تعالى يعلمنا في شخص سيدنا محمد ﷺ، وليس بالضرورة الشرك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

فليس بالضرورة أن يكون الشرك هو أن تشرك بالله شيئًا، أو أن تعبد مع الله تعالى أحدًا، لا، ليس هذا، وإنما الشرك هنا أن تُلَوِّثَ قلبك بالتعلق بغير الله تعالى، أو أن تلوث قلبك بالاستعانة بغير الله تعالى، أو تلوث قلبك بأنك تعمل عملًا صالحًا، ولكنك ما أردت به وجه الله تعالى هذا اسمه شرك، فأنت مسلم تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ولكنك في غفلة من الغفلات، والذي يقول في نفسه: إني أريد أن أعمل حسنة فأتمنى لو أن الناس ذكروه بالخير. وأن يقال: فلان زار دار الأيتام، وفلان أطعم الطعام، فلان عمل كذا وكذا، لو أتى إلى قلبك وأنت تفعل خيرًا لله تعالى، وتعمل لله تعالى واردة، ولكنه تخطر لك خاطرة أو شاردة تريد أن تذكر عند الناس،

والناس يتناقلون أخبارك، ويشيدون بك لو جاءك هذا الإحساس؛ فأنت داخل في هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿.....لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ .....﴾ [الزمر: ٦٥]

كل هذا يذهب؛ لأن عملك لم يكن نقيًّا شابه تلوث. والله ﷻ لأنه العزيز، ولأنه الكبير، ولأنه المتعالي، ولأنه أولى بالحمد، ولأنه أولى بالشكر لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وبعد أن يحبط العمل الإنسان يساوي صفرًا، و ليس عنده شيء، ولتكونن من الخاسرين، وخسر أي: أصبح نتاج عمله صفرًا، ماذا أفعل، بل الله فأعبد، أي اجعل عملك وسعيك وقصدك، واجعل العبادة والذكر، واجعل كل شيء للملك كما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٦].

أي: بل الله فاعبد أيها النبي مخلصًا له العبادة، وحده لا شريك له، وكن من الشاكرين، لله نعمه.

إنك إذا أخلصت فأنت من الشاكرين، وإذا لم تخلص فأنت من الخاسرين في أي الركبين أو الفريقين تشاء؟ أتكون مع الشاكرين إذا أخلصت لله تعالى، أو تكون مع الخاسرين إذا فعلت العمل، وهو عمل صالح وتحب أن يطلع عليه الناس؟

الأساس لك أنك خاشع فقال: عندما أخشع في المسجد، والناس يشاهدونني وأنا خاشع، الخشوع أساس في قبول الصلاة، فأبو حامد رحمه الله يقول: يأتي على القلب خاطر وإحساس أنني إذا خشعت في الصلاة ورآني الناس على الخشوع ويطيل في السجود، ويتمعن في الصلاة فإنه يتهم نفسه بالرياء رغم أنه ليس مرائيًا؛ لأنه لو صلى في البيت قيام الليل سَيُجَود أكثر، ولو صلى صلاة الضحى ولم يره أحد سَيُجَوِّد أكثر هو صلى في المسجد صلاة فجودها وحسنها؛ لأن عمله كله كذلك على نفسها الشاكلة

من الإتقان والإحسان والإجادة؛ لأنه يعلم أن هـذه الـصلاة مرفوعـة إلى الملك فكيف يحسنها وينقيها ويجودها .

فقال: إني أتهم نفسي ... إنني كلما صليت في المسجد وأخشى أن أكون مرائيًا، وقال: إن مالك بن دينار كان يصلي في المسجد، فمرت امرأة فشاهدته وهو يصلي، فكان الرجل يبكي، وكـان خاشـعًا، ووصـل إلى مرحلـة مـن الخشوع فإذا به يبكى لا تدري لعله كان يصلي الضحى، أو كان يقيم الليل، فإذا بامرأة سمعت شخصًا يبكي فـإذا هـو مالـك بـن دينـار فقالـت: مـا سمعت أحدًا مرائيًا على وجه الأرض مثل هذا الرجل، وربما سـمعها فلـما انتهى من صلاته تذكر ما قالته هذه المرأة، فقال له أحد الناس: أتـدري مـا قالت؟ فقال: وماذا قالت؟ أنا كنت أناجي الملك، فقال: قالت المـرأة، مـا وجدت أحدًا مرائيًا على وجه الأرض مثل هـذا الرجـل، أي: إنـه منـافق؛ لأنه صلى في المسجد ببكاء وخـشوع، وربـما أنـه إذا صـلى في بيتـه لم يـصلِّ بالخشوع ذاته، فقال: والله ما عرفني غيرها فقد أحسنت فيما قالت.

أيضًا نوع من اتهام النفس، أنه يتهم نفسه بالنفاق، هذه مرتبة صـديقية حدثتك عنها لا يصل إليها إلا رجل تشبه بالصديق أبي بكـر ﷺ، أو تـشبه بحنظلة ﷺ؛ لأجل هذا فإن القلب يحتاج إلى تنقية، وكلما أشـعر أني أفعـل معصية، فإني أراجع قلبي مع هذه المعصية، وأرى لماذا فعلت هذه المعـصية؟ ولماذا قلت هذه الكلمة؟ لماذا نظرت هذه النظرة؟ لماذا أنفعل وأنا عصبي؟

ما الذي يصل بالإنسان إلى أن يكون عصبيًّا، ويبدأ يأتي بحجـر وكلـما أراد أن ينفعل فإنه يضع الحجر في فمه فيسكت، وكلما هم أن ينفعل فإنـه يـسكت، ويـأتي بمرآة وكلما ينفعل فإنه ينظر في هذه المرآة ويرى وجهه عند الانفعال، ويرى وجهـه غضوبًا كسوفًا هائجًا ثائرًا، عندما ينفعل ويكون أحمر العينين بعـد هـذا لا ينفعـل، أي: كل أسباب التلوث التي تأتي لك تستطيع أن تمنع نفسك عنها .

فهذا الرجل لما أتى النبي العظيم ﷺ فقال له النبي ﷺ: قل هذا الدعاء: «**اللهم إن مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي**»[1]. فأخذها الرجل وظل يقولها ويعيدها، ويقولها علي هذه الحالة من المحبة فيما أعطاه النبي الخاتم ﷺ بعد أن مسح على صدره، فعاد الرجل فقال: يا رسول الله ﷺ، فقد أذهب عني الله ما كنت أجد. أي الحمد لله صار صدري منشرحًا وأتحمل إذا أهانني أحد، أو سبني أحد فإني لا أثور أو أنفعل وإنما أكظم غيظي ماذا يفعل الإنسان النقي التقي؟ وعندما يقال: إن القلب يأتيه فتن من جميع الجهات تذكروا كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف:٢٠١].

أي: إن الذين اتقوا الله مِن خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكَّروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.

هذا هو الحل: إن الذين اتقوا، أي في مرتبة إيمانية عالية، ورغم هذا تذكروا أن الشيطان لا يستولي على قلوب أحباب الله تعالى، وأنهم يكيدون كيدًا، وأن الشياطين يكيدون كيدًا، ويتوحشون على قلوب الناس ويستولون على قلوبهم، ولكن ماذا أنت فاعل إذا تكالبت الشياطين على قلبك؟ ماذا أنت فاعل أن الله تعالى علمك. كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ** ﴾ [النحل:٩٨].

أي: فإذا أردت أيها المؤمن أن تقرأ شيئًا من القرآن، فاستعذ بالله مِن شرِّ الشيطان المطرود من رحمة الله قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بعض الشباب يقول لك: أنا أصلي، و لكن عندي مشكلة كبيرة أنه لا يستطيع أن يغض بصره يكون انتهى من صلاته بالمسجد، وتجده يحملق هنا،

---

(١) رواه: جابر بن عبد الله، المحدث: المنذري، المصدر: الترغيب والترهيب، رقم الحديث: ٢/ ٣٨٦.

ويحملق هنا، والشيطان يفهمه أن له النظرة الأولى، وهذه مرة، وهذه مـرة، ويأخذ سوءات كل نظرة نظرها ضيع بها صلاته.

إن الفتن في الأساس عندما تأتي قلب الإنسان، فإنه يرفضها، فهناك من يفتن، والفتنة تعمل في قلبه كمن يستريح لسماع الأغاني فتـأتي هـذه الفـتن لتميـز قلـوب الناس، الأساس أن ترفض الفتن، لا أرغب أن أسمع ما حرم الله، وأغض بصري، وأغلق أسماعي، فتأتي الفتنة عابرة، ولكنها تستمر في قلوب بعض الناس، وبعـض الناس يرفضونها؛ ولذا فإن بعض الشباب يقعون في هذه المعصية وهـو لا يـستطيع أن يغض بصره؛ لأنه ليس له قدرة أنه يغض بصره، فالمفروض أنـه لـو رأى امـرأة تسير أمامه لا يتعقب ملامحها ولا يتبعها ببصره .

اللهم حبب إلينا صلاة الجماعة، وذكرنا بالموت كل ساعة، اللهم أصلح لنا البال، اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، واكفنا بفضلك عمن سواك، اللهم جنبنا الفتن والفواحش والمعاصي، ما ظهر منها وما بطن.

اللهم نسألك توبة الصادقين، ونسألك صدق المؤمنين، ونسألك إيمان الذاكرين، ونسألك ذكر الموحدين، ونسألك توحيد الموقنين، ونسألك يقين المقربين.

اللهم اجعلنا عند الموت من المثبتين، واجعلنا عند الحشر من الآمنين، واجعلنا يا ربنا يوم القيامة من الناظرين.

اللهم هيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهم اجعلنا من عبيدك السعداء، اللهم أصلح أعمالنا، وأحسن خواتيمنا، وتوفنا وأنـت راض عنـا، نـسألك قبـل الموت توبة، وعند الموت شهادة وتثبيتًا، وبعد الموت مغفرة وجنةً ونعيمًا، اللهم اغفر لي ولوالدي، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام، في الليل إذا يغشى، وصلِّ على سيدنا محمد في النهار إذا تجلَّى، وصلِّ على سيدنا محمد فى الآخرة والأولى، وصلِّ على سيدنا شـابًّا زكيًّـا؛ وصـلِّ عـلى محمـد كهلًا مرضيًّا، وصلِّ على محمد منذ كان فى المهد صبيًا وسلم تسليمًا كثيرًا.